فيبدأ حينئذٍ بالشغل العقلي اي الدرس تدريجاً فلا تكون المدة اكثر من ساعة في الايام الاولى ثلثاها شرح من المعلم والباقي حديث التلميذ ويجدد الموضوع كل يوم حتى لا يبعث على الملل ثم يزاد نصف ساعة ثم ساعة فيقسم اذ ذاك الدرس قسمين قبل الظهر وبعده وهكذا يتشى التلميذ بالتدريج الى ان يصير قادراً على احتمال العمل ثلاث ساعات في اليوم فيكون شفاؤه تاماً

وعلى المعلم وهو في الغالب الاب او الام ان يكون حكيماً فاذا آنس في بعض هذه المدة تعباً من الولد يسرع في تقصير مدة الدرس ساعة او ساعتين وعليه ان يختار من المواضيع ما كان فيه طلاوة ولذة والاَّ انقلب النفع الى ضرر

هذه هي الطريقة المثلى التي تصلح بها حالة اكثر المكسالى وتعيدهم اصحاء الجسم بعد المرض اذكياء بعد الخمول وتفتح لهم ابواب المستقبل التي اغلقتها الطبيعة في وجوههم ويقتضي لها صبر وتأنٍّ وحكمة واجل لا يقل عنه ثلاثة اشهر ولا يزيد في الغالب عن نصف سنة

الدكتور فياض

افتتاحات المشرق على المقتطف

درس في الاخلاق

كنا بالامس نبحث في موضوع لغوي وقيل لنا ان احد الادباء كتب فيه في المجلد الثامن من مجلة المشرق الصادر سنة ١٩٠٥ . فاستعرنا ذلك المجلد من المكتبة الخديوية وبينما نحن نقلبه ونبحث فيه عن ضالتنا وجدنا اموراً تتعلق بالمقتطف حرنا في كيفية تعليلها . فان ما يكتبه المشرق عن الماسونية وعن المخالفين له في العقيدة الدينية يُعلم سببه والمحرك له ومتى ظهر السبب بطل العجب ولا فائدة من البحث فيه ولكن الامور المتعلقة بالمقتطف في هذا المجلد لا يخلو النظر فيها من فائدة عملية لدى الباحثين في اخلاق الناس الاَّ اذا حُملت على المحمل الاول وهو الاختلاف في العقيدة . وهاك هذه الامور مرتبة حسب ورودها في ذلك المجلد

﴿ الامر الاول ﴾ في الصفحة ١٤١ من المجلد الثامن من المشرق ما نصهُ « (شطط المقتطف) قرأنا العدد الاخير من المقتطف الصادر في اول يناير سنة ١٩٠٥ فتعجبنا كيف هذه المجلة تلقي الكلام على عواهنه في اشياء كثيرة تكتبها جزافاً دون ان تحقق صحتها فمن ذلك ما

ذكرتهُ في مقالة احاديث نبوليون انهُ لم يكن يصدق بالمسيح وانهُ اسف لانهُ لم يصر بروتستانتيًّا وانهُ لم يصدق بخلود النفس . وكل هذه واقوال اخرى غيرها كذب محض »

ان مَن يقرأ كلام المشرق وهو لم يقرأ مقالة المقتطف بل سلسلة المقالات التي لخصنا بها كتاب لورد روز بري عن اواخر ايام نبوليون يفهم منهُ اننا اختلقنا ما نُسب الى نبوليون اختلاقًا من عند انفسنا فشططنا فيهِ اي شطط وانهُ كذب محض . ولكن الذين قرأوا المقتطف بل الذين قرأوا المقالة المنتقَد عليها وفهم ضمير يحاسبهم على ما يقولون يرون اننا لم نكتب شيئًا من عندنا مما ذكرهُ المشرق بل نقلناهُ عن كتاب لورد روز بري وهو رجل من اشهر كتّاب العصر ومن اكبر رجال السياسة رجل يعلم ان المنتقدين قائمون لهُ في المرصاد فلا يلقي الكلام على عواهنهِ ولا يجازف فيهِ مجازفةً . واذا تحدياهُ وخطئنا ما كتبهُ نكون قد فعلنا ما يستحق المديح لا الذم ولو كان مخالفًا لاعتقاد بعض القراء لان الحق احق ان يقال على كل حال . وهب ان روز بري اخطأ في ما نقلهُ عن نبوليون واكتشفت نجلة المشرق خطأهُ فكان عليها ان تلقي اللوم عليهِ وتلتمس لنا عذرًا في تصديقنا ما نقلهُ لانهُ ثقة والامور نسبية لا نلام في تصديقها اذا وردت ممَّن اشتهر بالصدق

ثم ان روز بري صرَّح في تلك المقالة عينها انهُ نقل ما كتبهُ عن الذين كانوا مع نبوليون وكتبوا اقوالهُ وقد نقلنا تصريحهُ هذا في المقتطف في تلك المقالة عينها وذكرنا اسماء اولئك الرجال بحروف عربية ورومانية حتى رفع التبعة عنا وعنهُ . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان روز بري ذكر ما عقَّب بهِ البعض على الاقوال التي نقلها عن غورغو احد اولئك الرجال (وهي محل انتقاد المشرق) وقد ذكرنا ذلك التعقيب بقولنا « والظاهر انهُ (اي نبوليون) كان يقول هذه الاقوال من باب الجدل لان غورغو كان شديد التعصب فكان نبوليون يجادلهُ ويحاول افحامهُ ولكنهُ لم يكن خاليًا من التدين » الخ . وقد ذكرنا هذا التعقيب كما ذكرهُ روز بري ولا بدَّ من ان يكون محرر المشرق قد اطلع عليهِ لانهُ قال في صدر انتقادهِ « قرأنا العدد الاخير من المقتطف الصادر في اول يناير سنة ١٩٠٥ » فلماذا اغفلهُ . هنا محل النظر فنترك الحكم فيهِ للباحثين في اخلاق البشر وتأثير عقائدهم فيهم

﴿ الامر الثاني ﴾ رأينا في الصفحة ١٤٢ من المشرق ما نصهُ « وفي العدد نفسهِ (اي عدد يناير سنة ١٩٠٥ من المقتطف) اقوال غريبة ميَّز بها المقتطف ما جاء في سفر التكوين عن ابناء الله وبني البشر مدَّعيًا ان ابناء الله بنو آدم وابناء البشر الشعوب السابقة لآدم ولا يخفى ما في هذا القول من الشطط »

ان من يقرأ هذا يفهم منهُ ان القول الذي وصفهُ المشرق بالشطط هو قول المقتطف . وهاك ما ورد في المقتطف باحرف الواحد وهو سؤال وجواب وهذا نصهما

« اصل الشعوب الصفراء . اخواجا رشيد فارس ابو ريحان . جكسن باميركا . جاء في التوراة انهُ لما كثر الناس على الارض رأى ابناء الله بنات الناس حسنات فاتخذوا لانفسهم نساء من كل ما اختاروا . ويظهر لي ان المراد بابناء الله نسل آدم ومنهم الشعوب البيضاء وبابناء الناس الامم التي كانت في الارض قبل آدم ومنها الشعوب الصفراء كالصينيين واليابانيين فهل يوافق علماء التفسير على ذلك »

« ج كلا ولكن غيرهم من كتّاب النصارى ارتأوا هذا الرأي والف احدهم كتاباً عنوانهُ السابقون لادم استنتج من الآية التي ذكرتموها ومن آيات اخرى ان كتّاب التوراة يفرقون بين الناس والبشر وان ابناء الله هم نسل آدم وغيرهم هم بقية نوع الانسان »

وواضح من ذلك ان المقتطف لم يبدِ رأياً في هذا الموضوع على الاطلاق بل قال ان علماء التفسير لا يوافقون عليهِ ولكن غيرهم ارتآهُ وان واحداً من هذا الغير الف كتاباً في هذا الموضوع فكيف جاز للمشرق ان يقول ان المقتطف هو الذي ميّز بين ابناء الله وابناء البشر . هذه مسألة ثانية نترك النظر فيها للباحثين في علم الاخلاق

❖ الامر الثالث ❖ جاء في تلك الصفحة من المشرق ما نصهُ « ومن غريب اوهام المقتطف انهُ لقب ابا الفرج ابن العبري بجمال الدين وجعل ملطية وطنهُ قرية »

لما قرأنا كلام المشرق ترجح لنا اننا غلطنا في تلقيب ابي الفرج بجمال الدين ووددنا لو ذكر المشرق لغلبهُ الحقيقي حتى نصلح هذا الخطأ . ولو كان اللقب مشهوراً كلقب سيف الدولة لما كان لنا عذر في خطإنا ومع ذلك لا يعذر كاتب رأى خطأهُ ولم يصلحهُ . فالتفتنا الى كتب التراجم التي بين ايدينا لنرى سبب هذا الخطإ ولكي نصلحهُ . واول كتاب التفتنا اليهِ الجزء الرابع من مجاني الادب الذي جمعهُ ونشرهُ اصحاب مجلة المشرق فوجدنا فيهِ ما نصهُ حرفياً « (ابو الفرج الملطي ١٢٢٦ — ١٢٨٦) جمال الدين غريغوريوس ابو الفرج بن حكيما الطبيب المعروف بابن العبري » . ثم فتحنا الجزء الاول من دائرة المعارف المطبوع سنة ١٨٧٦ فوجدنا فيهِ في الكلام على ابن العبري ما نصهُ « هو جمال الدين ابو الفرج مار غريغوريوس ابن تاج الدين هرون ابن توما الملطي المتطبب . . . ولد بقرية ملطية من اسيا الصغرى الخ » . ثم فتحنا الجزء الاول من آثار الادهار المطبوع سنة ١٨٧٧ فوجدنا فيهِ في الكلام على ابن

العبري ما نصهُ « هو جمال الدين ابو الفرج مار غريغوريوس ابن تاج الدين هرون بن توما الملطي ». والخطوط السفلى منا

ولا بد من ان يكون اصحاب دائرة المعارف وآثار الادهار واصحاب المشرق نفسهِ الذين جمعوا مجاني الادب وطبعوهُ ونشروهُ قد ذكروا ما ذكروهُ نقلاً عن غيرهم ونرجح انهم نقلوا مشتبهين ولا غرض لهم في تحريف ما نقلوهُ . ومع ذلك يحتمل ان يكونوا قد اخطأوا في النقل ولو كان هذا الاحتمال بعيداً جدًّا او يكون الخطأ في الكتب التي نقلوا عنها وان اصحاب المشرق اكتشفوا هذا الخطأ بعد ما طبعوا الطبعة الاولى من مجاني الادب فاصلحوهُ في الطبعات التالية فاتينا بنسخة من مجاني الادب طبعت سنة ١٩٠٩ « طبعة تاسعة مصححة » اي انها طبعت بعد ما جاء من الانتقاد علينا في المشرق بخمس سنوات فرأيناها تنعت ابا الفرج بجمال الدين . فكيف يفسر علماء الاخلاق هذا الامر اي كيف يفسرون انتقاد اصحاب المشرق على المقتطف في امر ذكروهُ هم كما ذكرهُ المقتطف قبل المقتطف وبعدهُ

ويظهر من النظر في الشواهد السابقة ان ما ذكرناهُ في المقتطف عن ابن العبري منقول عن دائرة المعارف او عن المصدر الذي نقلت عنهُ دائرة المعارف . وحتى الآن لا نرى ما يوجب ان تكون كلمة قرية خطأ لان مدن اسيا الصغرى القديمة خربت اكثرها فصارت قرًى صغيرة او امست اثراً بعد عين ولذلك لا يستبعد ان تكون ملطية قد صارت قرية في زمن ابي الفرج او في زمن من كتب سيرتهُ وقال انهُ ولد في قرية ملطية لكثرة ما وقع فيها وفي جوارها من الحروب بين الروم والفرس والعرب والسلاجقة لا سيما والمدينة القديمة قد خربت تمامًا ولا يعرف اين موقعها بالتحقيق بل يظن انهُ المكان المسمى الآن ارسلان تبي حيث وجدت الآثار الحثية وهو على نحو خمسة اميال من اسبوزو التي قامت مقامها بعد ان كانت مصيفاً لاهلها . ولا نظن ان هذه الامور تخفى على اصحاب المشرق فلماذا اذاً غيَّروا المقتطف كانهُ ارتكب جناية فظيعة بقولهِ قرية ملطية

﴿ الامر الرابع ﴾ جاء في الصفحة ٢٨٦ من المشرق الصادر في ١٥ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥ ما نصهُ « ان استفتينا المقتطف في حق الفرس المذكور (اي الجواد هنس) وجدناهُ يفتي في نغمة الهلال فينعت الجواد هنس بالجواد العالم ويرى انهُ أُعطي قوة التمييز » . ثم ذكر المشرق خلاصة اقوال اللجنة البرلينية التي امتحنت ذلك الجواد واشار اخيراً الى قول المقتطف الصادر في يناير سنة ١٩٠٥ وصوابهُ

والذي يقرأ كلام المشرق يفهم منهُ اننا ارعوينا بعد الخطإ واهتدينا بعد الضلال . والحقيقة التي لا ريب فيها اننا نقلنا في جزء نوفمبر سنة ١٩٠٤ خلاصة رسالة عن هذا الجواد نشرت في مجلة المجلات الانكليزية ونقلنا عنوانها معها ومهدنا لها تمهيداً وجيزاً قلنا فيهِ « كثر كلام الصحف في الشهر الماضي وما قبلهُ على جواد في برلين يقال انهُ يفهم ما يخاطَب بهِ ويُسأل بعض المسائل فيجيب عنها بالدقة التامة . وقد كتب بعضهم من برلين رسالة الى مجلة المجلات الانكليزية في ٢١ سبتمبر الماضي قال فيها ما خلاصتهُ » . ثم ذكرنا خلاصة الرسالة التي عنوانها الجواد العالم وعقبنا عليها بما نصهُ

« ولم نقف حتى الآن على تعليل هذه الافعال لعالم نثق بهِ . واذا كانت خالية من كل خداع كما يقال امكن تعليلها بان صاحب الجواد او معلمهُ يتسلَّط على ارادتهِ تسلط المنوِّم على المنوَّم فيأمرهُ بالحركات التي يريدها ولو عن غير قصد ويشير اليهِ بالرضى متى اتمها . وقد يفعل ذلك عن غير قصد او لا يشعر انهُ فعلهُ . ومعلوم ان الحيوانات الاليفة كالكلاب تنظر الى وجوه اصحابها وتفهم مرادهم من مجرَّد نظرها وتفهم ما يبدو فيها من امارات الاستحسان والاستهجان فلا يتعذر عليها ان تفعل ما يفعل هذا الجواد »

والذي يقرأ خلاصة بحث اللجنة العلمية التي امتحنت هذا الجواد بعد كتابة ما كتبناهُ في المقتطف بمدة طويلة يجد ان تعليلها لافعالهِ يشابه التعليل الذي علَّلناها بهِ . فكيف اتخذ المشرق ذلك كلهُ واستقلَّ ان يقول اننا نسبنا الى هذا الجواد قوة التمييز

﴿ الامر الخامس ﴾ جاء في الصفحة ٦٢٦ من المشرق الصادر في اول تموز سنة ١٩٠٥ ما نصهُ « كتب صاحب المقتطف في عدده الاخير . . فصلاً قصيراً عن الاستاذ برنارد اون ادَّعى فيهِ ان الانسان والقرد متسلسلان من اصل واحد في سلسلتين مختلفتين » . هذا ما ادَّعى المشرق اننا قلناهُ او ادعيناهُ . اما عبارة المقتطف المشار اليها فهي هذه بحروفها « من الخطإ الفاضح ان يقال ان الانسان متسلسل من القرد فانهُ لا داروين ولا احد من اتباعهِ قال بذلك وانما قالوا ان الانسان والقرد متسلسلان من اصل واحد في سلسلتين مختلفتين » الى ان قلنا « ان بين اسمى القرود والانسان هوَّة عقلية لا يسبر غورها وهذه الهوة هي التي تجعل الانسان سيد المخلوقات »

فهل يحتمل ان اصحاب المشرق فهموا مما نشر في المقتطف اننا نحن ادعينا ان الانسان والقرد متسلسلان من اصل واحد مع ان عبارتنا صريحة بان هذا القول هو قول

دارون واتباعه . او ما هو الحامل لهم على نسبة هذا القول الينا مع اننا لم نقُلْهُ سواء اعتقدنا صحتهُ او فسادهُ

﴿ الامر السادس ﴾ جاء في تلك النبذة عينها من المشرق ما نصهُ « ولا نريد شاهداً على سوء زعمهِ (اي زعم صاحب المقتطف) غير العدد الاخير وفيهِ مقالة عنوانها دفاع الكلاب يجعل فيها للكلب مقاماً ارفع من الانسان بكثير »

والحقيقة ان المقالة التي اشار اليها المشرق قصة كتبتها احدى السيدات وعقبت عليها كما بينا في مقدمتها . وهي مثل قصص كثيرة غيرها تروى عن الكلاب . وبعد ان اوردناها هي والتعقيب عقبنا عليهما تعقيباً قلنا فيهِ ما نصهُ « ويرجح لنا ان راوية القصة واهمة حلت حلماً او هجست هاجساً ثم اعتقدت ان ما حلت بهِ او هجست امر واقع حقيقة فسطرتهُ بنية سليمة وعقبت عليهِ والتعقيب حسن ولو لم يجتمل البحث العلمي »

فهل يمكن ان نعبر عن انكارنا صحة هذه القصة بكلام اوضح من ذلك . اما قولهُ اننا جعلنا للكلب في تلك القصة مقاماً ارفع من الانسان بكثير فجوابهُ اننا لم نفعل ذلك ولكن يسوءنا ان بعض الناس يتخلقون باخلاق تحط مقامهم . وليس هذا مدار البحث الآن بل مدارهُ الخلق الذي يحمل صاحبهُ على هذا الافتئات

هذه كل الامور التي اشير فيها الى المقتطف في مجلد واحد من المشرق على ما رأيناهُ في فهرسهِ

ورب قائل يقول بل نحن نقول لا نفسنا لماذا شغلنا خمس صفحات من المقتطف بامر لا فائدة منهُ . فلا اصحاب المشرق يستطيعون ان يغيروا خطتهم ولا قراء المقتطف في حاجة الى هذا الدفاع . فنجيب ان تعليل الامور المذكورة آنفاً يستحق البحث فان الاطباء مثلاً ينتظر منهم ان يكونوا اشد الناس احتفاظاً بالصحة وعلماء الاديان بالتقوى ولكن كثيراً ما يكون الامر على خلاف ذلك فهل يجتمل ان يكون بين تضلع الناس من المعارف الطبيعية والدينية وبين قلة اكتراثهم لها وعملهم بها علاقة ثابتة جزياً على قولهم من الف شيئاً ازدراهُ او ان العهود التي ارتبط بها اصحاب المشرق توجب عليهم ان يعادوا كل من لا يعتقد عقيدتهم . عسى ان لا يكون الامر كذلك وان يكون ما رأيناهُ من المشرق في كل ما ذكرهُ عن المقتطف من قبيل الشواذ التي لا يبنى عليها حكم . وكيفما كانت الحال فالموضوع يستحق البحث من باب علمي وفلسفي